تاريخ الفلسفة
١٦، :الرواقية
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

لنعد الآن إلى الفلسفات الهلنستية .في المرة الماضية، تناولنا الأبيقورية، وبداياتها، فيما يتعلق بالأخلاق النفعية، لدى القورينيين القدماء .ثم مع إضافة ذرية ديموقريطس، والميتافيزيقا المادية، تطورت الفلسفة الأبيقورية المميزة ، والتي، كما أشرنا، ستشهد انتعاشًا واهتمامًا كبيرًا في العصر الحديث عندما تخلت الثورة العلمية في عصر النهضة عن المنهجين الفيثاغوري والأرسطي في العلم، القائمين على الأسباب الصورية .والغايات النهائية

لم تُفضِ الثورة العلمية إلا إلى المادة، والسبب المادي، والسبب الفاعل، والقوى الطبيعية، وهذا ما جعل ديموقريطس جذابًا، لأنه بدا مشابهًا جدًا لفكرته .لذا، ستظهر الأبيقورية لاحقًا .وينطبق شيء مماثل على .الرواقية، وكذلك على الشك الهلنستي، وعلى الأفلاطونية المحدثة

في الواقع، هذه هي الفلسفات الهلنستية الأربع الرئيسية، ولكل منها تأثير بالغ في مراحل لاحقة من تاريخ الفكر .لذا، من المهم في هذه المرحلة فهم ماهيتها جيدًا .أما الرواقية، فقد تحدثتُ في المرة الماضية عن جذورها، حيث تنطلق الأخلاق الرواقية من موقف الكلبيين القدماء، ولا سيما انفصالهم عن المؤثرات .الخارجية، والراحة الخارجية، والمتاعب الخارجية

في محاولة للعودة إلى الطبيعة، والعيش في وئام معها، بطريقة بسيطة .أعتقد أن الموضوعين الرئيسيين اللذين .انتقلا إلى الرواقية هما :أولاً، التحرر من الظروف الخارجية

وثانيًا، العيش في وئام مع الطبيعة .العيش في وئام مع الطبيعة .والنتيجة هي أنه في الأخلاق الرواقية، كانت .الفضيلة الرئيسية التي سعوا إليها، والخير الذي سعوا إليه، تُعرف باسم اللامبالاة

.نعم، من هذا المصطلح اشتق مصطلح اللامبالاة .اشتق منه أيضاً مصطلح اللامبالاة .اللامبالاة

حرفيًا، تتكون من حرف الألف بمعنى النفي متبوعًا بالاسم، وتعني التحرر من ،(Apatheia) "كلمة "أباثيا .العاطفة، أي عدم وجود اضطراب عاطفي .والانفصال بهذا المعنى هو انفصال عاطفي عن الظروف الخارجية

قيل عن العبد الروماني إبيكتيتوس، الذي أصبح فيما بعد أحد فلاسفة الرواقية، أن سيده كان يعتدي عليه جسديًا ذات مرة، ويلوي ساقه بعنف، فاشتكى إبيكتيتوس قائلًا" :ستكسرها " .وبالفعل كسرها .ويبدو أن .إبيكتيتوس ظل يعرج طوال حياته

الانفصال عن هذه الظروف الجسدية .وسواء أكانت القصة حقيقية أم ملفقة، فهي توضح الفكرة .تذكرني هذه القصة بالوقت الذي كنت فيه، قبل بضع سنوات، جالساً على كرسي طبيب الأسنان بينما كان الطبيب .يفعل ما يحبه أطباء الأسنان بوحشية

،وعندما ملأ فمي بأدواته، سألني عما أُعلّمه .وعندما أخبرته، بين غرغراتي، بما أُعلّمه، واصل الشرح قليلاً وعندما حصل على استجابة عصبية مناسبة، سألني :أتساءل ماذا سيقول الرواقي الآن؟ الانفصال عن، كما .ترى

،لم أكن في حالة تسمح لي بإخباره أنني لستُ من أتباع الفلسفة الرواقية .أستطيع أن أشرح السبب .لكن .حسناً، دعونا نتحدث عن الموقف الرواقي

لكن الأمر يتجاوز مجرد الانفصال العاطفي .لأن هذا الخير الأسمى، اللامبالاة، يمكن تحقيقه بالتحكم العقلاني . في الأهواء

هذا موضوع سنسمعه كثيراً .في الواقع، يُلمح إليه أفلاطون، حيث يُفترض أن العقل هو الذي يُسيطر في النهاية على الشهوات .ولكن مع دخولنا العصر الحديث، ومع فلاسفة مثل ديكارت وسبينوزا، نجد هذا .الموضوع مجدداً، ومفاده أن العاطفة، أو الشغف، فكرة مُلتبسة

.يتمكن العقل من تكوين فكرة واضحة ومحددة عما يجري فعلاً، فإن وضوح الفكر هذا يبدد كل المشاعر .العقل يتحكم في العواطف من خلال وضوح فهمه

.أعتقد أن هذا الأمر له جذور واضحة في الفلسفة الرواقية، لأن الرواقيين لم يكونوا يتجاهلون المشاكل والألم

لقد رأوا في ظروف معينة جزءًا من النظام العالمي، أي جزءًا منطقيًا وعقلانيًا ومفهومًا من سيادة القانون في العالم الطبيعي .وإذا كانت المحنة التي تصيبك ناتجة عن قوانين الطبيعة، فماذا عساك أن تفعل حيالها؟ إذا .أدركت ذلك بوضوح، فأنت في وضع يسمح لك بتقبلها

.لتحقيق انفصال عقلاني عنه .ومحاولة تنظيم حياتك في المستقبل بما يتوافق مع الطبيعة وقوانينها .كما ترى

.إذن، ترتبط فكرة اللامبالاة بمفهوم تنظيم الحياة بما يتوافق مع النظام الطبيعي، أي مع قوانين الطبيعة .وبالتالي، فإن الاضطراب العاطفي، بل والشر الأخلاقي أيضاً، ينجم أساساً عن عدم التوافق مع القانون الطبيعي

.الشر الأخلاقي ناتج عن دوافعنا غير العقلانية، مثل السعي وراء المتعة والجشع

القلق .الخوف .كما ترى، وتحت تأثير هذه الدوافع، نميل إلى التصرف في مواجهة الظروف بطرق تتعارض مع .الطبيعة

إن عبارة "مخالفة الطبيعة"، كما ترى، تتناقض مع "الانسجام مع الطبيعة ."مخالفة الطبيعة في انسجام مع .الطبيعة .والشر الأخلاقي هو ما يخالف الطبيعة

.الخطيئة ضد الطبيعة .شيء غير طبيعي .كانت ممارسة الرواقية، بطريقة ما، أشبه بالدين

كان مصطلح الطبيعة مرادفًا تقريبًا لمصطلح الله، لكنه إله غير شخصي .وينطوي ذلك على نوع من وحدة .الوجود

.نوع من أنواع وحدة الوجود .وهنا نبدأ في الخوض في فلسفة الطبيعة في حد ذاتها .الطبيعة واحدة

وحدة متكاملة .وتحت تأثير هيراقليطس، هي وحدة متكاملة ذات جانبين .طريقتان يمكننا من خلالهما التفكير .فيها

في الواقع، يبدو أن مصطلحي الطبيعة والله يشيران إلى هذين المعنيين .فإذا اعتبرنا الطبيعة مجرد طبقة .خاملة من المادة، فإن ذلك يعني شيئًا سلبيًا، شيئًا منظمًا ولكنه لا يقوم بالتنظيم

،من جهة أخرى، إذا تحدثنا عن الله، فهذا يوحي بشيء فاعل، لا يُفعل به بقدر ما يفعل ويُنظم الطبيعة .إذن .لدينا جانبان، إن صح التعبير

.أحدهما سلبي والآخر إيجابي .والسلبيّ هو، بطبيعة الحال، العقلاني .أما السلبي فهو المادية فحسب

الوجود المادي، وهو وجود منظم .الآن، هذا الإله، هذا الجانب الفاعل من الطبيعة، هو محور التركيز .وهو .ما يُشار إليه باسم اللوغوس

.ولذا أسمي هذا فلسفة اللوغوس .فلسفة اللوغوس للطبيعة .أي أن القوة الفاعلة هي هذا العقل الكوني

أطلق عليه أناكسغوراس اسم "نوس "أي العقل .وأطلق عليه هيراقليطس اسم "لوغوس ."ويتحدث عنه .الرواقيون أحيانًا باسم الله أو العناية الإلهية

في غضون ذلك، تشمل العمليات المادية للطبيعة العناصر الأربعة في دورات من النظام والاحتراق الشديد .إنه .نوع من علم الكونيات الدوري .وبالتالي، فإن الطبيعة، بعملياتها المنظمة، هي نوع من الشبكة الحتمية

،إذن، فإن القوانين الطبيعية هي قوى سببية تعمل في الطبيعة .قوى سببية من نوع منظم، من نوع موحد منتظم ومعقول .وكما هو الحال مع اليونانيين الآخرين، كذلك هي الحال مع الطبيعة البشرية، حيث نجد .الجانبين المتناقضين للطبيعة في الإنسان

.نفكر عادةً فيهما على أنهما الجسد والروح .أحدهما سلبي والآخر نشط .ويُشار إلى الروح باسم اللوغوس

. نعم، بل هي في الواقع بذرة من بذور الكلمة .يستخدمون مصطلح "الكلمة المنوية ."نوعٌ أساسي من الكلمة

هي الروح الحية للكائن الحي .تسري في الجسد، فتمنحه أنشطة وحركات منظمة .وهكذا تعمل بذرة الكلمة .الإلهية هذه، وهي الروح البشرية، من خلال ثماني وسائل

.الحواس الجسدية الخمس .قدراتنا الإنجابية .تفكيرنا

وكلامنا .الحواس الخمس، بالإضافة إلى الجنس والفكر والكلام .كل هذه إذن هي الأنشطة الحية التي أتاحها .اللوغوس الأساسي

ومن الملاحظات المهمة هنا أن الرواقيين يعتبرون الروح، أي قوة الحياة هذه، شيئاً مادياً بحد ذاتها .ليست .غير مادية، بل مادية .وهذا أمر مفهوم تماماً عندما نأخذ في الاعتبار أنهم يساوون بين الطبيعة والله

،وإذا نظرنا إلى الطبيعة على أنها مؤلفة من العناصر الأربعة، أي إذا كان اللوغوس الكوني هو مجمل الطبيعة ومجمل الطبيعة مؤلف من العناصر الأربعة، فسوف نرى ذلك .وإذا كانت الروح البشرية بذرةً من ذلك .اللوغوس الكوني، فإنها ستكون مؤلفة هي الأخرى من عناصر

سيكون ذلك ماديًا أيضًا .وهذا يعني أنه في عملية التكاثر، وهي إحدى وظائف الكلمة، يتم استنساخ الروح .".والجسد معًا .وهذا ما يُعرف في المصطلحات اللاهوتية اللاحقة باسم "التناسخ

الفكرة القائلة بأن الروح تنتقل مع الجسد من الأب إلى الطفل .وكان فهمهم آنذاك ببساطة أن النسل موجود في صورة مصغرة داخل مني الأب .يحتوي النسل المصغر على الروح والجسد، اللذين ينموان عند إيداعهما في .مكان دافئ حتى يصلا إلى مرحلة الطفولة والبلوغ

هذا ما يُعرف في علم الأحياء باسم "الحيوانية ."كانت الحيوانية، التي ظهرت بشكل متقطع في بعض نظريات علم الوراثة بتأثير من الفلسفة الرواقية، قد عادت للظهور في القرن الثامن عشر، وتحديدًا في أواخر القرن نفسه، مع بدايات علم الأحياء، ولم تختفِ تمامًا إلا مع التطور التدريجي لعلم الوراثة الحديث .لكن هذه .النظرة الرواقية وفرت لبعض اللاهوتيين المسيحيين الأوائل طريقة لتفسير أصل الروح البشرية

سنلاحظ قريبًا أن ترتليان، أحد آباء الكنيسة، الذي قال أقوالًا مناهضة للفلسفة أكثر مما قاله معظم آباء الكنيسة الآخرين مجتمعين، كان مدينًا للرواقية في جوانب عديدة .وفي هذا الصدد تحديدًا، كان هو من تبنى هذا الرأي عن الروح وانتقالها، أي نظرية انتقال الروح، ونقلها بالتالي إلى اللاهوت اللاحق .ومن المثير للاهتمام، ولا يزال هذا المفهوم موجودًا في بعض نصوص اللاهوت، أنه انفصل بطريقة أو بأخرى عن أساسه .البيولوجي الأصلي، ولكنه لا يزال حاضرًا بين الحين والآخر

إذن، الروح، لكونها كيانًا ماديًا، تنتقل بهذه الطريقة، وقد تصور الرواقيون الأوائل على الأقل بقاءها بعد الموت من خلال اتحادها مع روح العالم، مع اللوغوس الكوني .حسنًا، وأعتقد أن هناك أمرًا آخر في هذا .السياق العام لفلسفة اللوغوس، وهو تأثير مذهب اللوغوس على نظرية المعرفة، أي المعرفة الإنسانية فالرواقيون، كما يتضح من ماديتهم، يرفضون أي فكرة عن أشكال متعالية غير مادية، أي نوع من الأشكال .الأفلاطونية أو الأرسطية، في الواقع

أحجام وطبيعة مركبة متنوعة .كل شيء ينبع من التفاصيل؛ لا شيء سواها .إذن، فيما يتعلق بالمعرفة .البشرية، فإن المعرفة مستمدة من الانطباعات، الانطباعات الحسية، التي نكوّنها عن التفاصيل

بحيث تُنتج العمليات السببية المنظمة في الطبيعة هذه الانطباعات على الوعي .انطباعات على ماذا؟ على الوعي نفسه، الذي هو، بصرف النظر عن هذه الانطباعات، ما أطلقوا عليه اسم "اللوح الفارغ"، أي اللوح الأبيض، كلوح شمعي فارغ يُطبع عليه ختم، أو ورقة بيضاء يُطبع عليها قلم .إذن، العقل يكون فارغًا عند .الولادة

لاحظ أن هذا يختلف عن أفلاطون، الذي زعم أن لدينا معرفة فطرية .ويختلف أيضاً عن أرسطو، الذي .تحدث عن عقل كامن .ليس فارغاً، بل مليئاً بالقدرات

كما ترى، بالنسبة للرواقيين، نحن متلقون سلبيون للانطباعات الحسية، صفحة بيضاء .ومن تلك الانطباعات .الحسية، نطور أفكارنا الخاصة، بحيث تؤدي الانطباعات إلى تطوير الأفكار

والنتيجة لذلك هي نظرية تمثيلية للمعرفة .أي أن العقل، أو الوعي، يتأثر بشدة بالقوى الخارجية، مما يؤدي إلى تكوين انطباعات تُفضي بدورها إلى نشوء أفكار .وهذه الانطباعات هي تمثيلات لأي شيء خارجي أحدث . هذه الانطباعات

ثم، في عصر النهضة، ومع هذه الميتافيزيقا المادية، أصبحت هذه النظرية المعيارية للمعرفة التي انتقلت إلى ،فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر في بريطانيا وأوروبا .في المقدمة، ربما صادفتموها عند ديكارت الذي زعم أن لديه أفكارًا تمثل أشياءً خارجية عنا .أما عند جون لوك، فالأفكار التجريبية تمثل أشياءً خارجية .عنا

ويؤكد كل من ديكارت ولوك بوضوح أن الموضوع المباشر، أي الموضوع الفوري للوعي، ليس موضوعًا خارجيًا، أو شيئًا ماديًا .ما تدركه، تدركه في ذهنك، في فكرتك .أترى ؟ أفكارك.

والانطباعات الحسية .هذا ما تدركه .وهذا يفتح مباشرة السؤال الكبير أمام نظرية المعرفة في القرن الثامن عشر.

إذا كان كل ما أعرفه هو أفكاري، فكيف لي أن أعرف بوجود شيء مماثل لها في العالم ؟ كيف لنا أن نعرف بوجود الأشياء المادية؟ كيف لنا أن نعرف بوجود عقول أخرى؟ كيف لنا أن نعرف بوجود الله؟ إذا كان كل ما نعرفه، إدراكًا مباشرًا ، هو أفكارنا الخاصة .ولذا، فإن هذا النوع من الأسئلة متضمن ضمنيًا في نظرية المعرفة الرواقية .وقد دفعهم ذلك إلى البحث عن معيار للحقيقة.

معيارٌ لضمان صحة تمثيل الأفكار .وقد توصلوا إلى هذا المعيار، وهو أن تتسم الأفكار بالوضوح والتميز .إنه اختبارٌ بديهي.

تلك الأفكار الواضحة والمميزة لدرجة لا تدع مجالاً للشك .إنها أفكار لا تُقاوم، أفكار يمكننا اعتبارها صحيحة.

أفكارٌ لا تُقاوم .ليس الأمر أننا نُدركها فورًا ودون تفكير، بل بعد التفكير والتدقيق، نُدرك أنها بالفعل فهمٌ واضحٌ ومُميز.

وهذه هي السمة المميزة للحقيقة .حسنًا، إذا بدا هذا وكأنه تمهيد لما قد تكون تعلمته سابقًا عن ديكارت، فهو كذلك .فاللغة نفسها، والأفكار الواضحة والمتميزة، هي أيضًا لغة ديكارت.

إذن، إنها فكرة مؤثرة، بدأت من تلك الحقبة .حسنًا، لدينا الآن الجذور، والأخلاق، وفلسفة الطبيعة .الآن، ما أود فعله هو إلقاء نظرة على المختارات التي لدينا في كتاب كوفمان.

ودعونا نرى بعض الأمور المهمة في ذلك .تبدأ المختارات الثلاث التي لدينا، اثنتان منها، زينون وكليانثيس، في عام 467 .يمثل زينون وكليانثيس الفترة المبكرة من الرواقية اليونانية من القرن الثاني قبل الميلاد.

،لاحقًا، برز إبيكتيتوس في الفكر الشكّي الروماني .ومن سمات الشكّاكين الرومان، بل والفلسفة الرومانية عمومًا أنهم طوّروا نظرةً عالميةً أكثر انفتاحًا من كثيرٍ من اليونانيين .فقد وسّعوا مفهوم النظام العالمي ليشمل العالم بأسره المأهول، كما ترى.

وفي تفكيرهم السياسي، يميل بعضهم إلى اعتبار العالم المأهول برمته بمثابة العالم الروماني .والقانون الروماني هو تجسيد لهذا النظام المنطقي، كما ترى .لكن هذه هي الرواقية الرومانية المتأخرة، التي كانت أكثر إنسانية بشكل ملحوظ، وأقل نزعة إلى الثقافة المضادة ، وأقل معارضة للمؤسسة، مقارنةً بالكلبيين وبعض الرواقيين الأوائل.

حسناً، زينون، الصفحة 467 .لاحظ المواضيع المتعلقة بالقانون الطبيعي .يقول الرواقيون إن الدافع الأول للحيوان هو الحفاظ على الذات لأن الطبيعة تجعله يشعر بالحب تجاهها.

هناك قانون طبيعي لحفظ الذات واضح في الحيوانات .وبعد بضعة أسطر، لم يكن من المرجح أن تُبعد الطبيعة الكائن الحي عن نفسها .نضطر إلى الاستنتاج بأن الطبيعة، بتكوينها للحيوان، جعلته قريبًا منها وعزيزًا عليها، كما لو كانت الطبيعة على دراية بما تفعل.

بالتأكيد .إنها طبيعة منطقية، كما ترى .الفقرة التالية مخصصة للتأكيد الذي يطرحه البعض بأن المتعة هي .هدف الغريزة الأولى للحيوانات

أثبت الرواقيون زيف هذا الاعتقاد .فاللذة، كما يقولون، هي نتيجة ثانوية لا تتحقق إلا بعد أن تجد الطبيعة .الوسائل المناسبة لاستمرار الوجود .بعبارة أخرى، بمجرد تحقيق غريزة البقاء، يُمكن للمرء أن يسعى وراء اللذة

وهكذا، في منتصف العمود الثاني، أُضيفت الغريزة إلى الحيوانات، مما يجعلها عاجزة عن البحث عن غذائها المناسب .يقول الرواقيون إن قاعدة الطبيعة بالنسبة لها هي اتباع الغريزة .ولكن عندما يُمنح العقل، من خلال .قيادة أكثر كمالًا، للكائنات التي نسميها عاقلة، تصبح الحياة وفقًا للعقل هي الحياة الطبيعية بحق

.يتدخل العقل لتشكيل الدافع .علمياً، كما تقول الترجمة .نعم، من خلال معرفته

توجيه الدوافع بالمعرفة .العقل يحكم العاطفة والشغف والاندفاع .في الصفحة التالية، ستجدون السبب وراء .كون زينون أول من حدد الحياة المتوافقة مع الطبيعة كغاية، وهي الحياة الفاضلة

إن عيش حياة فاضلة، كما يرى كليانثيس، يعادل العيش وفقًا لمسار الطبيعة الفعلي .أي الانسجام مع الطبيعة .ثم، في الفقرة القصيرة في الأسفل، من خلال الطبيعة التي ينبغي أن تتوافق معها حياتنا، يرى خريسيبوس، إذن لديك زينون وكليانثيس وخريسيبوس، وهم الرواقيون اليونانيون الثلاثة الرئيسيون، أن .خريسيبوس يفهم الطبيعة الكونية ، وبشكل أكثر تحديدًا، طبيعة الإنسان

ولاحظ السطر الأخير في تلك الفقرة، دون التطرق إلى طبيعة الفرد .نعم، لأن طبيعة الفرد قد تتشوه بفعل العاطفة، وما إلى ذلك .ثم يرى أن الفضيلة هي حالة متناغمة، جديرة بالاختيار لذاتها، خيرة في جوهرها، لا .تنبع من أمل أو خوف من أي دافع خارجي، غير مبالية بالعوامل الخارجية

،إذن، ستكون الأخلاق هنا أخلاقًا واجبية بحتة، أخلاقًا تُعنى بما ينبغي عليّ فعله، وما يقتضيه القانون الطبيعي وما هو واجبي، بدلًا من أخلاق تُعنى بالنتائج المرجوة من العالم الخارجي .وهو نهجٌ سنتناوله بتفصيل أكبر لاحقًا .في أعلى العمود الثاني، عندما ينحرف كائنٌ عاقل، فذلك يعود إلى خداع المساعي الخارجية، وأحيانًا إلى .تأثير الرفقاء

إنّ بدايات الطبيعة ليست منحرفة أبدًا .صحيح أن زميلك في السكن قد يكون منحرفًا، وأنّ نشاطات ليلة الجمعة الخارجية قد تكون منحرفة، لكن ليس النظام الطبيعي .في الصفحة التالية، في منتصفها تمامًا، لاحظ .هذه الأسطر

اللذة هي نشوة غير منطقية عند الحصول على ما يبدو أنه جدير بالاختيار .نعم، هناك فرق بين المظهر .والحقيقة .قد تبدو اللذة جديرة بالاختيار، لكنها ليست كذلك

إنها ميزة إضافية، وليست شيئًا يُختار لذاته .لذا، وكما يُقال في العمود المقابل، فإن الحكيم فاقدٌ للعاطفة، أي ،أنه لا يميل إلى الوقوع في مثل هذا الضعف .ويضيفون أن مصطلح "اللامبالاة "يُطلق أيضًا على الرجل السيئ .بمعنى أنه قاسٍ لا يرحم

.هذا هو المعنى الخاطئ للامبالاة، بل القسوة .حسنًا، أعتقد أن القسم الأخلاقي يجسد ذلك بشكل جيد .القسم المتعلق بالفيزياء الذي يليه في الصفحة 470، والذي يتناول الطبيعة

وبالمثل، لاحظ الفقرة الأخيرة في الصفحة 470 .هناك مبدأان في الكون، مبدأ فاعل ومبدأ منفعل .هل فهمت .الفقرة؟ المبدأ المنفعل هو الجوهر، المادة

الفاعل هو العقل، والله .هو الأزلي، صانع كل شيء في كل أرجاء المادة .ثم، في منتصف العمود الأول من .الصفحة 471، يُذكر أن الله هو نفسه العقل، والحبل، واللاغاس، ويُعرف بأسماء أخرى كثيرة

،في البدء، كان الله وحده، فحوّل كل المادة من الهواء إلى الماء وهكذا .الله، الذي هو العقل الأساسي للكون هو بمثابة بذرة وجودك، أي بمثابة المخطط العقلاني لك ولحياتك .كذلك الله بالنسبة لمستقبل الكون .بأسره ، كما هو بالنسبة للنظام

إذن، يبقى الله، وهو السبب الجوهري للكون، كامنًا في الرطوبة كعامل يُكيّف المادة مع ذاته تمهيدًا للمرحلة .التالية من الخلق .لاحظ تشبيه البذرة التي تنبت .أجد هذا التشبيه بليغًا للغاية

قبل أسبوع، زرعتُ بعض بذور العشب ، وأحرص الآن على ترطيب الأرض .ولاحظتُ عند الغداء ظهور أولى علامات العشب الأخضر من التربة الرطبة .إنّ ثمار البذور هي الطريقة التي يُطبّق بها هذا التشبيه عند . الرواقيين

،الله هو البذرة، والأساس لما سيكون .وروحك كذلك .ثم في العمود الثاني من الصفحة 471، الفقرة الأخيرة .يُنظر إلى العالم على أنه مُنظّم بالعقل والعناية الإلهية

كما أن العقل يسري في كل جزء منه، كذلك الروح فينا .تتفاوت درجات ذلك في الأجزاء المختلفة .العالم بأسره .كائن حيّ مُزوّد بالروح والعقل

وفي الفقرة 473، التي تستمر في أسفلها، يُذكر أن جوهر الله هو العالم بأسره، السماوات، وهكذا .أما الفقرة .وهي أول فقرة كاملة، فتتحدث عن الأجزاء الثمانية للروح ،476

ثم يبدأ السطر الأخير في العمود الأول من الصفحة 476 بطرح نظرية التناسل .يُعرّفون السائل المنوي بأنه ما يُمكنه إنتاج نسلٍ يُشبه الأب .فالسائل المنوي البشري الذي يُفرزه أحد الوالدين في وعاءٍ رطب يختلط بأجزاء .من الروح بنفس النسبة التي كانت موجودة في الأب

وهكذا، فإن الطفل، جسداً وروحاً، مشتق من الوالد .حسناً، هذه هي فلسفة اللوغوس عن الطبيعة بوضوح .تام .والآن، شيء آخر

أريد أن أتأمل في ترنيمة كليانثيس لزيوس التالية .أنا على يقين بأن مترجمها كان على دراية بنسخة الملك جيمس، وربما بكتاب الصلاة العامة الأنجليكاني، لأنها تُرجمت باستخدام بعض المصطلحات الشائعة في .المسيحية الغربية الكلاسيكية

.لكن هذه الترجمة تحديدًا تساعدك على فهم سبب جاذبية الفلسفة الرواقية، ولو مبدئيًا، للفكر المسيحي .حسنًا؟ الآن، تبدو كأنها ترنيمة .إنها تُسمى ترنيمة

يا إلهنا المجيد، يا من تُدعى بأسماءٍ كثيرة، يا ملك الطبيعة العظيم، الذي لا يتغير عبر العصور، يا صاحب القدرة المطلقة، يا من تُسيّر كل شيء بحكمتك العادلة .الآن، كما ترون، كان من الممكن أن يكون هذا في .ترنيمة مسيحية .السلام عليك يا زيوس !فإليك يجب أن تدعو مخلوقاتك في جميع الأراضي

. قال :زيوس هو أحد الأسماء المستخدمة .نحن أبناؤك، نحن وحدنا، من بين جميع أبناء الأرض .نحن أبناؤك

.في دروب الأرض الواسعة، نسير جيئة وذهاباً، حاملين صورتك .نعم، الكلمة الإلهية هي صورة الكلمة العالمية .حاملين صورتك أينما ذهبنا

ما هي تلك الصورة؟ العقل .نعم، وبفضل التأثير الرواقي جزئيًا، اعتقدت اللاهوت المسيحي اليوناني المبكر أن .هذه هي صورة الله .العقل

سأُظهر قدرتك بأناشيد الحمد .ها هي السماء التي تدور حول الأرض، تتبع هدايتك، ولا تزال تُقدم لك الولاء .والخشوع

يدك التي لا تُقهر ، يا خادمًا مُلتهبًا، يا جذوة مُخمّرة ، تحمل سيفًا ذا حدين، قوته الخالدة تنبض في كل ما تُحْدِثُه الطبيعة .الآن، هذه المركبة للكلمة الكونية، التي تسري في كل شيء، ها هي، اللوغوس المُنتشر، وفي نور النجوم السماوية، كبيرة كانت أم صغيرة، السماء كالأرض، ملك الملوك عبر العصور، الله الذي يُخرج بمشيئته .ما يُخلق من هواء على الأرض أو في البحر أو في السماوات السحيقة، إلا ما يُفسده الخاطئ، فلا تُلْمِ الله عليه كلا، بل أنت تعرف كيف تُقوّم المُعوج، والفوضى لك نظام، في عينيك ما لا يُحب جميل، يا من وفّقت بين .الشر والخير، ليكون هناك كلمة واحدة، لوغوس واحد، في كل شيء إلى الأبد، كل الأشياء تعمل معًا للخير

كلمة واحدة، يستهزئ بها الأشرار، لا تشبع أرواحهم من الخير الذي تتوق إليه، هناك يكمن الشغف، إذ يرون أنهم لا يرون ولا يسمعون قانون الله الكوني، الذي أولئك الذين يُجلّون السعادةَ المُسترشدة بالعقل، متى؟ أما ،البقية، فهم بلا عقل، يتبعون أشكالًا مُتنوعة من الخطيئة، بدافعٍ ذاتي .من أجل اسمٍ زائف، هناك عاطفة يُصارعون عبثًا في قوائم الشهرة، وآخرون بعواطف أخرى، يُغازلونَ الثروات بشكلٍ مُفرط، أو يُلاحقون ملذات الجسد المُنحلة، تارةً هنا، وتارةً هناك، يتجولون بلا جدوى، يبحثون دائمًا عن الخير ويجدون الشر، يا زيوس القديم الكريم، الذي يُغطيه الظلام، والذي يُضيء برقُه في غيوم الرعد، أنقذ أبناءك من سيطرة الضلال المُميتة، من سيطرة الضلال المُميتة، أعتقد أنه يجب أن يُعرف ذلك، من سيطرة الضلال المُميتة، أبعد الظلام عن أرواحهم، يجب أن ينعكس هذان الأمران، أليس كذلك؟ من براثن الضلال المميتة، أبعد الظلام ،عن أرواحهم، فأنتَ في مأمنٍ أن يبلغوا المعرفة، فبالمعرفة تُقوّيك لتسود، يا لوغوس، كل شيء يحكم بالعدل لذا بكَ سنُكرمك، مُسبّحين أعمالك باستمرار بالأناشيد كما يليق بالبشر، لا يوجد مرجٌ أسمى حتى للآلهة من .عبادة القانون الكوني، لوغوس الكوني، إلى الأبد .حسنًا، الرواقية

رد فعل؟ هل ترى جاذبيتها؟ فكّر في العصر الهلنستي .لقد كان عصرًا من الاضطرابات الثقافية والسياسية في جميع أنحاء العالم القديم .تلاشت دويلات المدن اليونانية لصالح إمبراطورية الإسكندر، التي تفككت مثل .الاتحاد السوفيتي عند وفاته، وفي النهاية سقطت في يد الإمبراطورية الرومانية

وهكذا اختلطت الولاءات والجذور التاريخية، وتداخلت، وتوسعت المواطنة الرومانية، لكن الجذور التاريخية، الدينية منها وغير الدينية، تلاشت .إنه خلطٌ هائل .ففي العصر الهلنستي، كانوا يبحثون حرفيًا عن ماذا؟ عن التحرر من اضطرابات العقل والجسد؟ عن التحرر من الانشغال العاطفي والانخراط في أمور الحياة .الخارجية؟ وهذا هو التبرير الفلسفي لذلك

. نوع من الخلاص .هل تتفق مع هذا التفكير؟ هل لديك أسئلة؟ نعم .أعتقد أن الأمر سيتضح تمامًا

.ليس بالضرورة الآن، فبعضه سيحدث الآن، ولكن ثمة معنىً ما يُقدّم فيه تاريخ الفكر نقدًا ضمنيًا لما سبقه بعبارة أخرى، استوعب تطور الفكر المسيحي تأثيرات الرواقية ورفضها في آنٍ واحد .لذا، فبينما نتتبع هذا .التطور، سنرى النقد يتطور

لا يتعلق الأمر بالهروب من الألم بقدر ما يتعلق بتجاهل مسائل الألم واللذة .المصلحة الذاتية مستبعدة .تماماً، وليست عاملاً يُؤخذ في الاعتبار

ليس في المتعة عيب، إلا أنها قد تكون خادعة، مغرية .لماذا نستخدم صيغة المؤنث دائمًا ؟ أظن أن هذا . سيثير حفيظة البعض .حسنًا، مغرية

لا، ليس كما ...حسنًا، لحظة، الألم، نعم .طالما وُجد الألم، وُجد نوع من الخلل .لكن إن لم يكن ذلك خطأنا .نتيجة فعلٍ متهورٍ وأحمق، كالإفراط في الطعام مثلًا، فإذا لم يكن بوسعنا فعل شيء حيال ذلك، فلنتجاهله

الموقف الرواقي .ماذا سيقول الرواقي اليوم؟ سؤال طبيب أسنان .هل تقصد ما هي الميتافيزيقا الكامنة وراءه؟ .عقيدة اللوغوس

هو لا يقول إننا لا نملك القدرة .أترون، ما الذي ليس فطرياً؟ لا توجد معرفة فطرية .أترون؟

لا توجد بنية فطرية للعقل .بدأت أفهم الآن في أرسطو .لا يوجد بنية فطرية للعقل تجعلنا نفكر تلقائياً في .فئات معينة

.تذكر الفئات العشر .كما ترى .لا، ليس هناك هذا النوع من السعة المحددة مسبقًا

لدينا الآن القدرة على التفكير بأنفسنا، لكننا نفكر تجريبياً في البداية .كما ترى، يعتمد التعميم التجريبي على .جمع التجارب والتصورات ، وتطوير الأفكار التجريبية، ورؤية أوجه التشابه

.كما ترى .إذن، التعميم، والاستدلال من التعميم .أجل

.قوانين الطبيعة .ما هي؟ حسناً، تُستخدم كلمة القوة .القوى

يبدو هذا وكأنه من صميم العلوم الميكانيكية الحديثة .لكن في الأساس، ما نلاحظه ليس سوى انتظام .وتجانس

.النظام .كما ترى .إذن، إنها قدرتنا على التعميم ورؤية النظام الشامل من خلال التعميم

أرى نظامًا عامًا تندرج ضمنه ظروفي الصعبة الحالية .فلماذا أغضب كل هذا الغضب؟ كما ترى، لماذا آخذ .الأمر على محمل شخصي؟ وهكذا دواليك

حسنًا، اسمحوا لي أن أتحدث قليلًا عن ردود الفعل المسيحية، وسنرى المزيد من ذلك لاحقًا .أعتقد أن أول .ما يجب ملاحظته، وأنا أبحث عن صفحة الملاحظات تلك، ها هي

أول ما يُلاحظ هو أن المسيحيين الأوائل كانوا مُعجبين للغاية بالأخلاق الرواقية .الآن، لم أقرأ لك هذا المقطع .من كتابات إبيكتيتوس .ألقِ نظرة عليه

.هذا هو نوع الأمر .والجزء الأخلاقي من كتاب زينون .هذا هو نوع الأمر الذي أثر كثيراً في المسيحية المبكرة

ويقتبس كليمنت الإسكندري، في بعض كتاباته، من الرواقيين ويشير إليهم ويثني عليهم فيما يتعلق ببعض مبادئهم الأخلاقية .حسناً؟ قلتُ بعض مبادئهم الأخلاقية، وليس بالضرورة النظرية الأساسية وراء هذه المبادئ .

ثانيًا، كان هناك قبول واسع النطاق لهذا النهج؛ بشكل عام، هذا النهج في الحديث عن الكلمة الإلهية .وربط ذلك بمقدمة إنجيل يوحنا .لقد أدركوا أن الكلمة الرواقية هي كلمة الطبيعة.

كلمة يوحنا هي كلمة الطبيعة، كلمة الخلق .فبها خُلقت كلّ الأشياء، وكلّ الأشياء خُلقت .في البدء كانت الكلمة.

كان اللوغوس هو الله .ولذلك ربطوا بينهما .ثم بدأوا في البناء على ذلك في تطوير عقيدة اللوغوس المسيحية التي سنضطر إلى دراستها بمزيد من التفصيل.

،اتّبع الأمر مساراتٍ مختلفة .وكما ذكرتُ، تبنّى ترتليان النظرة الرواقية للروح .ومن الأمور المثيرة للاهتمام .والتي سأعود إليها لاحقاً ، أنه انجذب إلى الرواقية كرد فعلٍ على الغنوصية

.كانت الغنوصية القديمة، كما تعلمون، نوعاً من الثنائية .فالمادة هي مصدر الشر، والعقل هو مصدر الخير

كما ترى، كان الرواقيون يقولون إن العقل والفكر جيدان .لكن العقل والفكر ماديان .لذا فإن المادة المنظمة .بالعقل جيدة

لذا، ولتفنيد مزاعم الغنوصيين، يتبنى ترتليان المادية الرواقية .أي أنه إذا كان العقل أو الروح المادية يمكن أن يكونا خيرين، فإن المادة الأخرى يمكن أن تكون خيرة .وفي البدء، قال الله إنها خير، أليس كذلك؟ وهكذا .تتجنب الثنائية الغنوصية

.بهذا المعنى .حسنًا، هذا لا يعني أن الأمر انطوى على مشاكل أخرى .كان ترتليان، في هذا الصدد، صوتًا للأقلية

معظم المفكرين المسيحيين الأوائل، وسنتناول هذا بمزيد من التفصيل لاحقًا، فضلوا، في ردهم على الغنوصية، رؤية أفلاطونية .لكنها رؤية أفلاطونية أدخلت مذهب اللوغوس الرواقي إلى الأفلاطونية .أترون ؟ .لذا سنتحدث عن الأفلاطونية الوسطى خلال أيام قليلة

الوسطى ، التي جمعت بين مذهب اللوغوس الرواقي وبعض الفيثاغورية والأفلاطونية، هي التي تبنتها المدرسة المسيحية في الإسكندرية كإطار فلسفي شامل لدراسة اللاهوت والدفاع عن العقيدة، وهي التي أدت لاحقًا إلى .ظهور الأفلاطونية المحدثة

إذن، تلك الاستجابات المسيحية واضحة تمامًا .الآن، الأمر الأخير الذي أودّ لفت انتباهكم إليه هو أنه عندما ،كان بولس في أثينا في رحلته التبشيرية الثانية، تذكرون أنه التقى ببعض الفلاسفة اليونانيين على تل مارس وقيل له إن بعضهم على الأقل كانوا من الأبيقوريين والرواقيين .الآن، في ضوء ما تعرفونه عن الأبيقوريين .والرواقيين، استمعوا إلى ما قاله بولس

حسنًا؟ يا رجال أثينا، أرى أنكم متدينون للغاية بكل معنى الكلمة .حسنًا، الرواقية، نعم .ترجم الملك جيمس .وهو ما كان سيُرضي أتباع أبيقور لأنهم كانوا ضد جميع أنواع الخرافات ،(supersitious) "كلمة "خرافي

أتذكرون؟ لقد أرادوا مادية واقعية تُحررهم من كل المخاوف التي تُولدها الخرافات .لكن مجرد تقديمه كان يهدف إلى جذب انتباههم وكسب تعاطفهم .وبينما كنتُ أمرّ وأتأمل معبوداتكم، وجدتُ مذبحًا عليه هذا النقش للإله المجهول.

من الواضح أن أي شخص يلفت الانتباه إلى إله مجهول سيرغب في امتلاك رؤية راسخة للمعرفة، كالفلسفة الرواقية .فالجهل هو منبع المشاكل .إله مجهول.

إذن، ما تعبدونه وأنتم تجهلونه، أُعلنه لكم .الله، خالق العالم وكل ما فيه، رب السماء والأرض، وهو ما يُقرّ به أي رواقي، لا يسكن في معابد من صنع البشر، ويتفق مع ذلك رفض أبيقور للخرافات الدينية، ولا يُخدَم بأيدي البشر كما لو كان محتاجًا لشيء، فهو الذي يهب جميع الناس الحياة والنفس وكل شيء .الحياة والنفس، هذا هو جوهر لاغوس.

وكل شيء .إذن فهو يعزف مجموعتين من الموسيقى في الوقت نفسه .ولا يخدمه بشر، دعونا نرى، وقد خلق من واحد كل أمم البشر ليسكنوا على وجه الأرض.

هو .هو .لاغوس.

كانت كل أمة من البشر في نصوص العصر الروماني تتحدث عن مواطنة عالمية بسبب لاغوس واحد .بعد أن حددوا فترات زمنية محددة وحدود سكنهم، أي الخلق المنظم، كان عليهم أن يسعوا إلى الله على أمل أن يبحثوا عنه ويجدوه .إنه ليس بعيدًا عن أي منا.

ففيه نحيا ونتحرك ونوجد، كما قال بعض أنبيائكم، لأننا ذريته .هذا مقتبس من ترنيمة بلينيوس لزيوس .أنا أقتبس ترنيمة كليانثيس لزيوس، الشاعر الرواقي.

بما أننا أبناء الله، فلا ينبغي لنا أن نظن أن الإله كالذهب أو الفضة أو الحجر، مجرد تمثيل من صنع فن الإنسان وخياله .وهذا ما يُفرح الأبيقوريين .لقد غضّ الله الطرف عن أزمنة الجهل، ولكنه الآن يأمر جميع الناس في كل مكان بالتوبة لأنه قد حدد يومًا سيحاسب فيه العالم.

وكما تعلمون، كان لدى الرواقيين فكرة ما عن دورة الدمار القادمة، والتي قدموا من خلالها ضمانًا بإحياء رجل من الموت، وعندما سمعوا بقيامة الموتى، تراجعوا عن الفكرة .أي يوناني يرغب في جسد مُقام؟ كان الرواقيون يتسمون بموقف من التحرر .أما الأبيقوريون، فقد أرادوا التخلي عن فكرة الحياة الآخرة برمتها.

إذا كان الأمر كذلك، فلا داعي للقلق .حسنًا، من الواضح أن بولس على دراية بالفلسفة الرواقية .كيف؟ ولماذا؟ كانت مدينة طرسوس إحدى مراكز الفلسفة الرواقية، بل من أهم مراكزها في القرن الأول الميلادي.

إذن، يبدو أن شاول نشأ في بيئةٍ جعلته، بحكم نشأته في المدينة، على درايةٍ بالفلسفة الرواقية .فأيُّ معرفةٍ أفادته ؟ وقد فُسِّرت تلك الموعظة على تل مارس من قِبَل كُتَّاب العهد الجديد ومُفسِّريه بطريقتين مختلفتين.

يقول البعض إنه عندما غادر أثينا وذهب إلى كورنثوس، انكبّ على جوهر الأمور، مصمماً على ألا يعرف شيئاً سوى يسوع المسيح ومصلوبه، وأنه تخلى عن مخاطبة المثقفين .بينما يخالفهم آخرون الرأي.

وأظن أنني أميل إلى الاختلاف .كان لديه جمهوران مختلفان .كان لديه جمهور من المثقفين في أثينا.

صعد إلى تلة مارس، وكان صعودًا شاقًا .كان يعلم ما سيجده هناك .كان يرتاد بيوت الدعارة أناس من جميع أنحاء العالم.

وتأثرت الكنيسة بالمناخ الأخلاقي للمدينة .لذا، كان هناك جمهوران مختلفان، وتوجهان مختلفان .لكن على الأقل، كان رد بولس واضحًا جدًا، وذا بصيرة نافذة.

يبدو أن استراتيجيته كانت التماهي مع شظايا الحقيقة التي رآها في الرواقية والأبيقورية، لكن مع إعادة صياغتها في سياق مختلف، وإعادتها إلى سياقها الصحيح .وهذا تحديدًا ما سيقوله لاحقًا كلٌّ من يوستينوس الشهيد وكليمنت الإسكندري.

عندما يقولون لنا إن كل الحق هو حق الله، أينما وُجد .ومهمة المسيحي هي جمع هذه الشظايا وإعادتها إلى جوهر الحقيقة الكاملة التي سُلبت منها .هل فهمت؟ من هنا ينبع مفهوم أن كل الحق هو حق الله، في هذا السياق تحديدًا.